الفـلاح النشيـط

كان أبو محمود يحفرُ حفراً عميقةً في تربةٍ حمراء ، ذراتها متناثرةٌ ، رائحتها معطرةٌ كالبخور ، إنها الأرض التي وَطِىءَ بقدميه تُرْبتَها السيد المسيح والأنبياء والأتقياء من بني البشر ، وقَدِمَ إليها الفاتحون المسلمون عندما نشروا نور الإسلام في هذه البقعة التي احتضنتهم عندما كانوا يستعدون لمعارك الفتح والتحرير في اليرموك وحطين وعين جالوت وجبل الشيخ .

كان أبو محمود يَغْرِسُ فيها غِراسَ الزيتون المبارك ويضعُ إلىٰ جانب جَذْرِ هذه الغرسَةِ قصبةً مُفْرَغَةً ترتفعُ فوق سطح التربةِ ، ثم يصب فيها من إبريقٍ ماءً يسقي جَذْرَها ويُرَطّبُ التربةَ كي تنمو جذورَها وتمتدُّ ، لقد سبقَ هذا الفلاحُ ما عرفَهُ المزارعون اليومَ (الرَّيَّ بالتنقيط) وغيرهُ قبل عشرات السنين .

ويكبُرُ الشجرُ ويعطي ثمراً يانعاً أخضرَ وأسودَ ، فيقطُرُ منه الزيت ويكون علىٰ الموائد العامِرةِ شهياً مُغَذّياً وفي القدُورِ طعاماً بارك الله فيه ، وقد انطبقَ علىٰ هذه البلاد قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ

وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وما زال أبو محمود يزرعُ الزيتونَ ويسقيه، ويكبرُ الشجرُ ويعطي الخيرَ حتىٰ فارق الحياة، وقد ترك بساتين وكروماً ودوراً عمّرَها بجهدِهِ وعَرَقِهَ وقد انطبقت عليه الحكمة القائلة: «زرعوا فأكلنا، ونزرع فيأكلون». وداوَمَ علىٰ دَرْبِهِ ومِنْهاجِه الأولادُ والأحفادُ وكانوا مثالاً في الجدِّ والعملِ والإخلاصِ، اتَّصَفْتَ بها عائِلات القريةِ العالية سكوفيا وفيهم آل فياض وآل رهبان، وآل خطيب وآل مرعي وآل رحال المحبين للبشرِ والعاشقين للأرض والشجر وطَبْعُهم الإخلاصُ والمحبة والشجاعة.

* * *